كلمة سعادة

الأستاذ الدكتور

يوسف عبد القادر خليف

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي لعام 1409هـ/1989م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله أوتى جوامع الكلم.

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء, ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي
أيها الحفل الكريم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يكلف الأدب نفسه شططًا لو ادّعى القدرة على تصوير المشاعر الإنسانية كما تجيش بها نفس صاحبها, لأن من هذه المشاعر ما يبدو في تدافعه وتزاحمه وانطلاقه أقوى أن تسيطر عليه اللغة بنظامها الدقيق، وأسرع من أن تلاحقه حركتها المحسوبة المحدودة، فاللغة نظام وقانون، ونجوى النفس عالم لا تحده حدود، ولا تقيده قيود، والنفس كالروح من أمر ربى ولم يبعد الفرنسيون عن الحقيقة حين قالوا أن المشاعر الكبيرة دائما صامتة.

مشاعر شتى تتزاحم في صدري، وتتراءى أمامها الكلمات التي احتفظت بها اللغة رصيدا ثريا لمن يريد أن ينفق منها غير كافية للتعبير عنها، لم تقدم لي إلا صورة مما في نفسي، وظلت عاجزة عن تقدم صورة لما في النفس.

هذه الجائزة الكريمة تحمل أكثر من معنى يبعث على الاعتزاز بها: هي جائزة عربية إسلامية ارتفعت ــ بتجاوزها حدود الجنس واللغة ــ إلى المستوى العالمي، فتصغى إليه لأسماع الدنيا كلها.

وهيّ ــ بارتفاعها إلى المستوى العالمي ــ تعد تأكيدا لعالمية الإسلام، ورصيدًا جديدًا تضيفه حضارتنا العربية إلى الحضارة الإنسانية، وتعبيرا عما بلغته المملكة العربية السعودية في نهضتها الحديثة، وما حققته وتحققه للإسلام والعروبة. وصدق الله تعالى القائل في كتابه الكريم ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)).

وهى تحمل لي إحساسًا خاصًا بالسعادة، فقد عادت بي مرة أخرى إلى ذكريات نجد.. نجد الشعر والخيل والصبا والخزامى، نجد التي تفجر منها نبع الشعر أول ما تفجر منذ أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان، وشهدت الطلائع المبدعة من رواد يشقون الأرض العذراء مسالك مذللة لقوافل الشعراء من بعدهم، ويحولون رمال الصحراء جداول تتدفق بالفن والسحر والإبداع، نجد التي عشت معها ولها منذ أن اتصلت حياتي بتراثنا الأدبي واقفًا على ضفافه الخضر أرقب تدفق أمواجه إلى ما لا نهاية، قائمًا على أرصاد كنوزه حارسًا أمينًا على ودائعها الغالية.

فالحمد لله على نعمته التي أنعم عليّ بها، بل على نعمه التي لا تحصى، حمدًا أسأله سبحانه أن يتقبله منى خالصًا لوجهه الكريم.

والشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الذي تعتز به العروبة، وهى ترقبه يعيد مجدها وعزها، ويبنى حاضرها ومستقبلها، ويجدد ماضيها الذي كان لها يوم أن كنا سادة العالم، وصناع حضارته، وحملة مشاعل النور في آفاق الأرض.

والشكر لأصحاب السمو الأمراء أبناء جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ الذين خلدوا ذكراه بهذه المؤسسة الكريمة التي قامت على الخير والبر والتقوى، وجعلت رسالتها العمل الصادق للإسلام والعروبة، وبعث نهضة ثقافية وعلمية وأدبية، وتحقيق الخير الخالص للإنسان في كل مكان. والله يتقبل منهم عملهم الصالح, ((إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه)).

والشكر لأصحاب السمو الأمراء أبناء الأسرة السعودية الكريمة التي حققت لهذه الجزيرة مكانها الجدير بها في موكب الشمس، وأجرت في أرضها الطيبة أنهارًا دافقة بالخير والرخاء، وأوقدت في جنباتها مصابيح الأمل والرخاء.

والشكر للمسئولين عن الجائزة الموقرة التي حققت لها من الحيدة والنزاهة والموضوعية، والتجرد من الأهواء، ما ارتفع بها فوق الشبهات، وجعل أكرم جائزة يشرف بها من يحصل عليها.

والشكر للأخوة الكرام الذين شرفوا هذا الحفل الكريم بحضورهم، مشاركة منهم في فرحتنا العربية الكبرى في وطن الأمة العربية الأكبر.

والشكر أخيرًا لرفيق رحلتي الطويلة ذي الرمة شاعر الحب والصحراء الذي أتاحت لي رحلتي معه هذه الفرصة الخالدة في حياتي، وعسى أن يجمعني به الله يوم القيامة لأساله عن أمور عنها الحجب التي حالت بيني وبين رؤيتها.

ولأنشد معه، وأنا في دياره العامرة وفوق أرضه الطيبة:

ألا يا اسلمي يا دار من على البلى

ولا زال مهلا بجرعائك القطر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.